تقرير

تقرير الاجتماع السنوي لمركز الفرات للدراسات

يتضمن هذا التقرير السياسي رؤية مركز الفرات للدراسات حول الأحداث والمستجدات السياسية خلال عام 2023.

عُقِدَ الاجتماع السنوي في تاريخ 24 ديسمبر/كانون الأول 2023، بحضور جميع أعضاء أقسام المركز، وذلك بهدف تقييم وتحليل المستجدات السياسية على الصعيدين الدولي والإقليمي، سيّما الدول ذات التأثير في الملف السوري، كأميركا وروسيا وإيران وتركيا، وانعكاسها على الواقع المحلي في المنطقة، بالإضافة إلى ملف الإرهاب.

1- الشأن الدولي:

شهد عام 2023، الكثير من الأحداث والمتغيّرات على الساحة الدوليّة، حيث أُضيف إلى بؤر التوتر السابقة (حرب روسيا-أوكرانيا)، بؤر جديدة مثل حرب ناغورني كرباخ وأذربيجان، وكذلك حرب السودان، ومن ثم حرب غزة، إضافةً إلى الصراع والتوتر المستمر في سوريا، مما يدل على أن الصراع بين القوى المهيمنة عالمياً، والقوى الصاعدة سوف تأخذ المزيد من الوقت. وإذا ما تتبعنا خريطة هذه الصراعات سنجد أن أغلبها تتمحور حول السيطرة على منابع وخطوط الغاز وتأمينها من ناحية، والسيطرة على الطرق التجارية البرية والبحرية من ناحية أخرى. ولكل هذه القوى مصالح مختلفة متضاربة، فمشروع "الممر الاقتصادي الهندي" جاء رداً على "مشروع الحزام والطريق الصيني"، وكل طرف يضع العراقيل أمام مشروع الطرف الأخر، ما يؤدي إلى خلق حالة عدم استقرار وفوضى. وباعتبار أن الشرق الأوسط نقطة التقاء هذه الطرق والخطوط، فلا بد أن تنجر إلى هذه الصراعات.

2- الشأن الروسي:

من المزمع أن تشهد روسيا اجراء انتخابات خلال عام 2024، وتمهيداً لذلك، تم اتخاذ قرار في المجلس الأعلى الفيدرالي بتمديد مدة الرئاسة إلى 6 سنوات، بعد أن كانت 4 سنوات، ما يتيح المجال لبوتين أن يحكم روسيا -عملياً- حتى عام 2036.

ونلاحظ أن جميع التحديات التي واجهت روسيا خلال عام 2023 كانت نتيجة غزوها لأوكرانيا، وهي التي تسميها روسيا "عمليه خاصة"، وليست حرب ضد أوكرانيا، حيث تفرض الحكومة الروسية على الإعلام، وجميع الأشخاص داخل روسيا استخدام مصطلح "عملية خاصة"، ويتم معاقبة وسجن جميع من يخالف ذلك، حتى لا تظهر روسيا بمظهر المتورط في حرب طويلة، غير قادرة على الانتصار فيها، وللإيهام بأن روسيا لاتضع كل ثقلها في هذه الحرب، وتتحرك بشكل تكتيكي.

فيما لا توجد بوادر لانتهاء هذه الحرب قريباً، حيث أن التموضع العسكري بعد 3 سنوات من هذه الحرب لم يتغير كثيراً.

إن هذه الحرب كانت لها نتائج سلبية من الناحية الدبلوماسية أيضاً، والتي حاولت روسيا توسيع إطار اتفاقاتها مع الكثير من الدول بحركة مكوكية، ولكنها لم تأتِ بنتائج مرجوة للحكومة الروسية، فلم تستطع رفع الحصار المفروض عليها، حتى أنّ الصين، التي تُعتبر حليفة لروسيا، هي مستفيدة من الحصار عليها، حيث تستغل الحصار لاستيراد

البضائع من روسيا بأسعار منخفضة، وتوريد بضائعها بأسعار مرتفعة إليها. فيما سعت روسيا للاستفادة من تأسيس "مجموعة بريكس" لملء الفراغ الاقتصادي، وبيع المعادن المستخرجة من أراضيها، وحاولت توسيع هذا الملف الاقتصادي في عام 2023 عبر ضم دول جديدة إليها.

ومن الملاحظ تراجع الدور الروسي وفعاليته في سوريا خلال عام 2023، ولم تقم بأي خطوات عملية سوى غض النظر عن هجمات إيران على قواعد التحالف الدولي، حيث خرقت بذلك الاتفاقيات بينها وبين التحالف الدولي، التي تدعو إلى محاربة الجماعات الإرهابية.

أما داخلياً، ضاعفت روسيا الإنفاق العسكري، مما أدى لانخفاض المستوى المعيشي للفرد؛ وسيتسبب ذلك بضعف الإنتاج المحلي. وتظهر الأرقام بأنه في النصف الأول من عام 2023، زاد الإنفاق الروسي العسكري 12%. وحسب وكالة الإحصائيات الروسية: فإن إجمالي الإنتاج المحلي الروسي تراجع بنسبه 1.9% في الربع الأول من عام 2023. وبالتالي، لا نعتقد أن تحدث روسيا أي تغيير في سياساتها في العام المقبل، ومن الصعب أن تخلق أي تطور ملحوظ.

3- الشأن الإيراني:

شهدت إيران أحداثاً هامة خلال عام 2023، ولعلّ أهمها هو قمع موجة الاحتجاجات الشعبية والمعروفة بثورة "المرأة، الحياة، الحرية"، على الرغم من أنّ جمرتها لم تُخمد بشكل كامل، إلا أنّ النظام الإيراني تمكن من السيطرة على المدن والبلدات التي كانت على وشك الخروج من السيطرة، وذلك باستخدام شتى أساليب القمع.

ويتعلق الحدث الأبرز الثاني باستئناف العلاقات مع السعودية بعد انقطاعها منذ 2016، برعاية صينية، وهذا أيضاً له صلة بما جرى في الداخل الإيراني من احتجاجات، واستشعار النظام الإيراني الخطر، واحتمال نجاح أمريكا في تشكيل "تحالف إقليمي" للإطاحة به، تكون السعودية أحد أهم الأطراف في هذا التحالف، وبالتالي منع استغلال احتجاجات الداخل لتطوير هذا التحالف.

كما أنّ انضمام إيران إلى "منظمة شنغهاي وبريكس" في محاولة منها لمواجهة العقوبات الأمريكية والغربية، كان من الأحداث البارزة خلال 2023.

أما الحدث الأبرز الذي كان لإيران الدور الرئيسي فيه، هو عملية "طوفان الأقصى" واندلاع حرب غزة، حيث تشير التقارير إلى تدريب إيران لـ 500 عنصر من حماس والجهاد الإسلامي قبل بدء العملية بوقت قصير، تحت إشراف "الحرس الثوري" الإيراني، الذي استخدم أسلوب الطائرات الشراعية في إحدى مناوراته قبل أن يتم استخدامها في غزة من قِبل حركة حماس.

إنّ من بين دوافع إيران من إشعال حرب غزة في هذا التوقيت؛ هو إفشال التطبيع السعودي-الإسرائيلي برعاية أمريكية، والذي كان قد دخل مراحل جدّية من المناقشة، والدافع الثاني هو محاولات الناتو وإسرائيل تطويق إيران في منطقة القوقاز من خلال افتتاح ممر بري بين أرمينيا وأذربيجان لنقل النفط والغاز إلى أوروبا، والتضييق على إيران، وحرمانها من لعب هذا الدور.

لا شكّ أنّ حماس هي رأس حربة إيران في مواجهة إسرائيل، وهي تحاول الآن إدارة الصراع بشكل غير مباشر، للتخفيف عنها ومنع إسرائيل من إنهائها، ولذلك فإننا نشهد تحريكاً للأذرع الإيرانية في المنطقة، مثل حزب الله في الجبهة الشمالية لإسرائيل، والميلشيات الشيعية في العراق وسوريا، وجبهة الحوثيين في اليمن، فتضغط هذه الجماعات على إسرائيل وأمريكا وتحاول تشتيت تركيزها على إنهاء حماس، لكن هذه الضغوطات لا تعني توسيع الجبهة ضد أمريكا وإسرائيل على شكل حرب مفتوحة، وإنما هي ممارسات ضاغطة محدودة، ولها خطوط حُمر، حيث لم تسجل حتى الآن أي خسائر بشرية في صفوف الجنود الأمريكيين خلال أكثر من 100 استهداف للقواعد التحالف الدولي بقيادة أمريكا.

أما بالنسبة للموقف الامريكي من السياسة الإيرانية، فإنّ أمريكا حذرة من التصعيد المباشر والشامل ضد إيران، وهي غير مهيأة لدخول حروب مباشرة ومكلفة وطويلة الأمد معها، ولا تريد توسيع رقعة الحرب خارج غزة، فهي حذرة من قوة الردع غير التقليدية لدى إيران، كما أنّ الظروف الدولية لا تسمح لها الآن بتنفيذ مثل هذه الضربة التي تحتاج إلى تشكيل جبهة عالمية وإقليمية واسعة ضد إيران. وعليه، فهي تضغط على اسرائيل أيضاً حتى لا تدخل بمواجهة مباشرة مع حزب الله، حيث ستصبح احتمالية خروج الأوضاع عن السيطرة أكبر، وقد تؤدي لنشوب حرب إقليمية واسعة لا يمكن التنبؤ بعواقبها.

فيما يبدوا أن بايدن ونتنياهو متفقان على نقطة واحدة وتعتبر من أولوياتهما، وهي القضاء على حماس. وذلك لأن السياسة الأمريكية تتجه نحو حل الدولتين، لحلّ بؤرة التوتر الكبيرة في الشرق الأوسط، والتي تستغلها إيران لتوسيع نفوذها، لكن يبدو أنّ بايدن ونتنياهو على خلاف حول المرحلة التي ستلي حماس.

ومن المهم الإشارة إلى موضوع نفوذ إيران داخل أمريكي من خلال اللوبي الإيراني، والتطورات التي تحدث في هذا الشأن، حيث قدمت عضوة مجلس النواب كلوديا تيني مشروع قانون باسم "قانون روبرت مالي"، وهو المبعوث الأمريكي الخاص لإيران، والذي تم توقيفه عن العمل بسبب "احتمال تواطئه مع النظام الإيراني"، وقد تم اكتشاف مجموعة من الأشخاص ذوي الجنسية الأمريكية من أصول إيرانية يشغلون مواقع حساسة في الإدارة الأمريكية، ومنهم آرين طباطبائي مساعدة روبرت مالي، ورئيسة مكتب وزير الدفاع الأمريكي السابقة، وبموجب هذا القانون سيتم ملاحقة الموظفين الأمريكيين المرتبطين مع إيران وتحويلهم للجان المسؤولة.

على الصعيد الداخلي، فإن إيران مستمرة في زيادة عدد الإعدامات، وخلق حالة يأس، ومحاسبة المشاركين في المظاهرات، حتى وصلت إلى معدل 3 حالات إعدام يومياً في الآونة الأخيرة، وهذا يصعد من حجم الاحتقان الشعبي أيضاً، وكذلك تم فصل عدد كبير من الأساتذة الجامعيين ذوي الكفاءات العلمية العالية، لكونهم متضامنين مع الحراك الشبابي وتم استبدالهم بأساتذة جدد أقل خبرة، لكنهم موالون لنظام الجمهورية الإسلامية. وعلى الرغم من القمع الذي يمارسه النظام الإيراني ضد شعبه، ما تزال المظاهرات مستمر في محافظة سيستان وبلوجستان التي تسكنها القومية البلوشية السنية.

بالنتيجة، يبدو أن أميركا ستتجه لتشكيل المزيد من التحالفات في المنطقة، والعمل لإتمام التطبيع بين السعودية وإسرائيل، لأنه بدون ذلك لن تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق أهدافها الاستراتيجية في المنطقة، ولن تتمكن من مواجهة النفوذ الإيراني، لكن ذلك يحتاج إلى وقتٍ، والقدرة على تذليل العقبات التي ستنشأ أمام تحقيق هذا الهدف.

وبكل الأحوال يبدو أن فكرة انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من سوريا غير مطروحة من قبل أميركا على المدى القصير، وقد رأينا كيف أن مجلس الشيوخ قدم مشروعاً مماثلا للانسحاب قبل فترة، وتم رفضه بغالبيه 83%، وصرّح أحد المسؤولين الأمريكيين بخصوص هذا الأمر، قائلاً: بأن "توجيه ضربة ضد إيران وحلفائها أفضل لنا من الانسحاب من سوريا والعراق". لذا فإن الضرر الذي سيلحق بالولايات المتحدة نتيجة انسحابها من المنطقة، قد يكون أكبر من الضرر الذي ستخلفه حربها ضد إيران.

4- الشأن التركي:

تمارس تركيا سياساتها في المنطقة ضمن محورين أساسين، حيث أنها وضعت محاربة الكرد على أجندتها منذ وأد "سيفر"، وولادة "لوزان" بدلاً عنها، وليصبح الكرد الهاجس المرعب لتركيا بكافة مشاربها. والمحور الآخر هو محاولة استعادة نفوذها المفقود منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية، والمتمثلة بـ"العثمانية الجديدة"، حيث تحاول تركيا أن تكون إحدى أهم دول المنطقة، من خلال تدخلها في الكثير من الدول التي شهدت "الربيع العربي"، عن طريق تبني الإسلام السياسي.

لكن، وبحسب المتغيرات على الصعيد الدّولي، **أين تقف تركيا؟**

من الواضح أن تركيا التي كانت تتباهى بموقعها الجيوسياسي في المنطقة، باتت خارج حسابات عدة مشاريع، وربما تحالفات جديدة، في المنطقة، فبالرغم من إنها تحاول أن تلعب دور الوسيط في كل الأزمات الدولية، بدءاً من حرب أوكرانيا، ومروراً بحرب غزة، إلّا أن الحركة الدبلوماسية للقوى المهيمنة تهمّش دور تركيا في هذه الأحداث والأزمات من ناحية، ومن ناحية أخرى تعاني الدبلوماسية التركية من عزلة واضحة، فلم يكن لتركيا موطئ قدم في العلاقات الدبلوماسية المتعلقة بالحروب والأزمات التي تشهدها كل من أوكرانيا وغزة، وبالتالي لم يُؤخذ الدور التركي بعين الاعتبار. لذا، ونتيجة العزلة الدبلوماسية التي تعيشها تركيا، يمارس أردوغان سياسة الابتزاز والضغوطات، في محاولةً منه لكسب مكانة تركيا في الحسابات الدولية من خلال حسابات قصيرة الأمد؛ كاستخدام ورقة انضمام السويد وفنلندا إلى الناتو، وكذلك تجنب اللهجة العدائية ضد إسرائيل في خطاباته حول الحرب في غزة، مكتفياً بحرب كلامية وشخصنة الصراع مع نتنياهو، وذلك تفادياً لقطع علاقاته مع إسرائيل من جهة، وعدم تحريض اليهودية العالمية ضد تركيا، وأنها لا تعادي السامية من جهة أخرى.

إن علاقة تركيا القوية مع إيران، ودعمها لحماس، سيّما بعد حرب غزّة، أدت إلى إصرار القوى المهيمنة على إبقاء تركيا منعزلة أكثر، وبالتالي فقدانها ثقة "الأصدقاء - الأعداء" بها .

كما أن الخاصرة الرخوة لتركيا تتركز اليوم على الجانب العسكري، حيث أنها تعاني من ضعف في الإمكانات العسكرية، خاصة سلاح الجو، فهي بحاجة ماسة إلى تجديد

وشـراء طـائرات إف-16، ولكـن مـن الواضـح أن أمريكـا تتجنـب بيعهـا لتركيـا، بحجـة اسـتخدامها ضـد دول الجـوار خاصـةً اليونـان، ومـا زيـارة أردوغـان إلـى اليونـان فـي 7 ديسمبر 2023، إلا لإقناع الأخيرة بالسماح لبيع طائرات إف-16 لتركيا.

فـي النهايـة، يبـدو أن جـلَّ مخـاوف تركيـا تتركـز حـول عـدم حصـول أي تغييـر فـي المنطقـة، فهي تعتبر ذلك تهديداً مباشراً لمصالحها في المنطقة، خاصةً في سوريا.

5- الشأن السوري:

تشـهد سـوريا منـذ النصـف الثـاني مـن عـام 2023 جمـوداً سياسـياً؛ نتيجـة توقـف مباحثـات "آسـتانا"، وفشـل جـولات تشـكيل اللجنـة الدسـتورية، وعـدم خطـو النظـام السـوري خطـوات ملموسـة نحـو الحـل السياسـي بعـد عودتـه إلـى الجامعـة العربيـة. ومـا زاد مـن تعقيـد وتهمـيش الأزمـة السـورية، والـذي ينـذر باسـتمرار الجمـود السياسـي خـلال النصـف الأول مـن عـام ، 2024 هو اندلاع حرب غزة، وتداعياتها على سوريا.

إن الانغـلاق السياسـي فـي سـوريا، وفشـل التطبيـع بـين دمشـق وأنقـرة، واسـتمرار الأخيـرة بشـن الهجمـات الموسـعة علـى منـاطق شـمال وشـرق سـوريا، وسـط صـمت مـن قِبـل القـوى الدوليـة الضـامنة لوقـف إطـلاق النـار، بالإضـافة إلـى عـودة التصـعيد العسـكري فـي شـمال غـرب سـوريا، كلهـا تزيـد مـن احتماليـة عـودة التصـعيد العسـكري، والاقتتـال فـي معظـم المناطق السورية خلال العام القادم.

فيمـا يمكـن أن يكـون لتحضـيرات أميركـا فـي العـام الجديـد للانتخابـات الرئاسـية، ومسـاعيها لمنـع توسـع الصـراع فـي الشـرق الأوسـط، تـداعيات علـى الملـف السـوري، ويـؤدي إلـى تجميد النقاشات في الحلول السياسية لما بعد الانتخابات الأمريكية.

وفـي منـاطق الإدارة الذاتيـة فـي شـمال وشـرق سـوريا، فهنـاك العديـد مـن المؤشـرات بأنهـا ستشـهد متغيـرات علـى المسـتويين الإداري والسياسـي خـلال العـام 2024، فـي إطـار تعزيـز مكانـة الإدارة الذاتيـة محليـاً ودوليـاً، والسـعي لنيـل الشـرعية السياسـية كجـزء مـن المعارضة السورية.

فـالمتغيرات الإداريـة والسياسـية فـي شـمال وشـرق سـوريا، بالإضـافة إلـى زيـادة هجمـات وتهديـدات الميليشـيات الإيرانيـة للقواعـد الأمريكيـة، وتكثيـف التحـالف تدريباتـه المشـتركة مـع قسـد، تشـير إلـى أن واشـنطن سـتعيد رسـم خـرائط نفـوذ جديـدة فـي سـوريا، تجعـل منهـا أوراق ضـاغطة علـى النظـام السـوري وحلفائـه، للتوجـه إلـى حـل سياسـي سـوري قـادم طـال انتظاره على السوريين.

إلّا أنّ الدولـة التركيّـة تحـاول مـن خـلال تصـعيد هجماتهـا العدوانيـة، بواسـطة الطـائرات الحربيـة والمسّـيرات ضـد منـاطق شـمال وشـرق سـوريا، واسـتهداف البنيـة التحتيـة والفوقيـة والمشـاريع الاقتصـادية، ضـرب كـل مسـاعي الإدارة الذاتيـة لخلـق الاسـتقرار الأمنـي والاقتصـادي والسياسـي فـي المنطقـة، حيـث يسـتغل الـرئيس التركـي رجـب طيـب أردوغـان انشـغال العـالم بحـرب غـزة، والتـوترات فـي البحـر الأحمـر، لتوسـيع الحـرب علـى منـاطق الإدارة الذاتية، الأمر الذي قد يزيد من المخاطر الأمنيّة، وزيادة نشاط خلايا داعش.

فقـد وثّقـت وكالـة "نـورث بـريس" فـي تقريـر لهـا تعـرّض 632 موقعـاً؛ منهـا مسـاكن مـدنيين، و48 موقعـا لمنشـآت حيويـة وبنـى تحتيـة، إلـى جانـب 21 موقعـاً لأراضـي زراعيـة

للقصف والاستهدافات من قِبل الطيران التركي في مناطق شمال وشرق سوريا، خلال عام 2023.

6- ملف الإرهاب:

تعتبر قضية الإرهاب قضية شائكة ومعقدة لارتباطها بالعديد من الملفات والمسائل، كمسائل التاريخ، والدين، والفكر والثقافة والديمقراطية والحقوق. ما يهمنا في الوقت الراهن هو البحث في احتمالية عودة التنظيم الإرهابي داعش، وفرض سيطرته على مناطق من شمال وشرق سوريا.

هناك الكثير من العوامل والدلائل تشير إلى احتمالية انبعاث داعش، وخاصة الظروف الدولية والإقليمية والمحلية الحالية تشكل بيئة مناسبة لانبعاثه وترجح كفة الميزان لصالح هذا التنظيم.

بدايةً، القضاء على "خلافة" داعش لا يعني تدمير التنظيم نفسه. حيث ترك داعش خلفه العديد من القضايا والمسائل تحتاج إلى تضافر جهود دولية ومحلية لإيجاد حلول جذرية ومستدامة. هذه القضايا والمسائل تتعلق أولاً بنساء داعش وأطفاله في المخيمات ومراكز الإيواء، وثانياً عناصره السابقين في مراكز الاحتجاز، وثالثاً خلاياه النائمة التي تنشط في مناطق من سوريا والعراق، وتتكرر عملياته ضد قوات سوريا الديمقراطية وقوات النظام والجيش العراقي. هذا الوجود المادي لتركة داعش والتي يمكن تسميتها بـ "ثالوث انبعاث داعش" يثبت بأن التنظيم كجماعة إرهابية لازال قائم وموجود وبانتظار الوقت المناسب لإعلان "خلافته" من جديد. ناهيك عن الظروف الدولية والإقليمية والمحلية المناسبة لمثل هذه العودة.

فعلى الصعيد الدولي، تنشغل الدول الكبرى بملفات أخرى مهمة لها أكثر من القضية السورية برمتها، بما فيها ملف داعش الإرهابي، كالحرب الأوكرانية - الروسية، والصراعات بين هذه الدول نفسها حول مسائل عديدة أخرى، أهمها مسألة الممرات الاقتصادية (طريق الحرير من جهة، وطريق التوابل من جهة أخرى). وعلى الصعيد الإقليمي، الحرب في غزة بعد طوفان الأقصى وتداعياته على الساحة السورية، وخاصة محاولات استهداف القواعد العسكرية الأميركية في شمال شرق سوريا والعراق من قبل أذرع إيران تؤثر بشكل كبير على جهود مكافحة الإرهاب. ناهيك عن الضربات والاستهدافات المتكررة لآلة الحرب التركية للبنية التحتية وعوامل الاستقرار في شمال شرق سوريا. وعلى الصعيد المحلي، تبرز مسألة إثارة النعرات الطائفية والقومية ومحاولة أطراف عديدة لضرب مكونات المنطقة بعضها ببعض، وخلق الفوضى وعدم الاستقرار وخاصة في مناطق دير الزور والرقة.

استنادا لما سبق ذكره، وبسبب تأخر حل الأزمة السورية نفسها، هنالك خشية من عودة تنظيم داعش كـ"خلافة"، وفرض سيطرته الجغرافية من جديد. فقد حصل سابقا، بالنظر إلى السياق التاريخي لنشأة تنظيم داعش وتطوره، إبان مقتل أبو مصعب الزرقاوي، زعيم تنظيم القاعدة في العراق، والادّعاء بنهاية التنظيم، ليظهر مجدداً نتيجة الفوضى وعدم الاستقرار، عقب أحداث "الربيع العربي".

جميع حقوق النشر محفوظة لمركز الفرات للدراسات ©2024

مركز الفرات للدراسات

مؤسسة بحثيّة مستقلة، تُعنى بالمسائل والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط، وسوريا عامةً، ومناطق شمال وشرق سوريا خاصةً.